# غَزْوَةُ بَنِي المصْطَلَق

## تَارِيخُ الغَزْوَةِ:

ذكر ابن إسحاق وبعض علماء السيرة أنها كانت فى العام السادس للهجرة، والصحيح الذى ذهب إليه عامة المحققين أنها كانت فى شعبان من العام الخامس للهجرة، ومن أبرز أدلة ذلك أن سعد بن معاذ كان حيًّا فى هذه الغزوة، وله ذكر فى قصة الإفك التى سيأتى تفصيلها - إن شاء الله- وقد توفى سعد بن معاذ فى غزوة بنى قريظة سنة خمس من الهجرة كما سيأتى بيان ذلك فكيف يكون سعد حيًّا بعد عام من وفاته[١]؟!.

## أَسْبَابُ الغَزْوَةِ:

من أهم الأسباب لهذه الغزوة:-

١- تأييد هذه القبيلة لقريش واشتراكها معها فى معركة أحد ضد المسلمين ضمن كتلة الأحابيش التى اشتركت فى المعركة؛ تأييدًا لقريش.

٢- سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسى المؤدي إلى مكة فكانت حاجزًا منيعًا من نفوذ المسلمين إلى مكة.

٣- أن الرسول ﷺ بلغه أن بنى المصطلق يجمعون له، وكان قائدهم الحارث بن أبى ضرار ينظم جموعهم فلما سمع بهم خرج إليهم؛ حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له: المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فهزمهم شر هزيمة[٢].

## أَحْدَاثُ الغَزْوَةِ:

وفى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة للهجرة خرج الرسول ﷺ من المدينة فى سبعمائة مقاتل وثلاثين فارسًا متوجهًا إلى بنى المصطلق[٣]، وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا فى غزاة قبلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل: أبا ذر، وقيل: نميلة بن عبد الله الليثى وكان الحارث بن أبى ضرار قد وجَّه

---

(١) فقه السيرة للبوطي ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٣١ - ٢٣٢).

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٣٢).

عينًا ليأتيه بخبر الجيش الإسلامى فألقى المسلمون عليه القبض وقتلوه .

ولما بلغ الحارث بن أبى ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ وقتله عينه ، خافوا خوفًا شديدًا وتفرق عنهم من كان معهم من العرب ، وانتهى رسول الله ﷺ أصحابه ، ورايـة المهاجرين مع أبى بكر ، ورايـة الأنصار مع سعد بن عبادة ، فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا حملة رجل واحد فكانت النصرة .

وانهزم المشركون وقتل من قتل وسبى رسول الله ﷺ النساء والذرارى والنعم والشاء ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد ؛ قتله رجل من الأنصار ظنًا منه أنه من العدو[١] .

كذا قال أهل المغازى والسير ، قال ابن القيم: هو وَهْم ؛ فإنه لم يكن بينهم قتال ، وإنما أغار عليهم على الماء فسبى ذراريهم وأموالهم[٢] .

وروى البخارى عن ابن عون أنه قال: كتبت إلى نافع فكتب إليَّ: إن النبى ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وأصاب يومئذ جويرية ، حدثنى به ابن عمر وكان فى ذلك الجيش[٣] .

**زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جُوَيْرِيَّة بِنْتِ الحَارِثِ رضى الله عنها :**

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ أَوْ لابْنِ عَمٍّ لَهُ[٤]: وَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلاحَةً[٥] لا يَرَاهَا أَحَدٌ إلا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إلا أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي فَكَرِهْتُهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي قَالَ: فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَقْضِي**

---

(١) سيرة الرسول أبو عمار ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٨٧ .

(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٣٦٣ .

(٤) رواه أحمد ٢٥٨٣٣ .

(٥) ملاحة: شديدة الملاحة .

**كِتَابَــتك وَأَتَزَوَّجُك؟ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّه قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللّه ﷺ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللّه ﷺ فَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا»** [١] .

## إِسْلَامُ الحَارِثِ بنِ أَبِي ضِرارٍ:

قـال ابن هشام: لما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحـارث ، وكـان بـذات الجـيش ، دفـع جويـرية إلى رجـل مـن الأنـصار وديعـة ، وأمره بالاحـتفاظ بها وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته فلمـا كـان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء فرغب فى بعيرين منها فغيبهما فى شـعب مـن شـعاب العقـيق ، ثـم أتـى إلى النبى ﷺ وقال: يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها فقال رسول الله ﷺ : **«فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا؟»** فقال الحـارث: أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأنـك محمد رسول الله ؛ فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسـلم الحـارث وأسـلم معه ابنان له ، وناس من قومه وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهمـا فدفـع الإبـل إلى النبـى ﷺ ودفعـت إلـيه ابنـته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجه إياها وأصدقها أربعمائة درهم [٢] .

## مُحَاوَلَةُ المنَافِقِينَ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ إِثَارَةَ الفِتْنَةِ بَيْنَ المهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ:

كان رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزوة مقيمًا على المريسيع ووردت واردة الناس ، ومـع عمر بن الخطاب أجير يقال له: جهجاه الغفارى فازدحم هو وسنان بن وَبَر الجهنى على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار ، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين فقال رسول الله ﷺ : **«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها مُنتنة»**.

وبلـغ ذلـك عبد الله بن أبى ابن سلول فغضب وعنده رهط من قومه ؛ فيهم زيد بن أرقم غلام حدث ، وقال: أوقد فعلوها قدنا فرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما نحن وهم إلا كمـا قـال الأول: سمِّن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز

---

(١) ابن هشام (٢ / ٥٤ - ٥٥)
(٢) ابن هشام ٢ / ٥٥ .

منها الأذل أقبل على من حضره فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم ؛ أحللتموها بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنها ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم .

فأخبر زيد بن أرقم عمه بالخبر فأخبر عمه رسول الله ﷺ وعنده عمر فقال عمر: مُرْ عبَّاد بن بشر فليقتله فقال: «**فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذِّنْ بالرحيل**» ، وذلك فى ساعة لم يكن يرتحل فيها فارتحل الناس فلقيه أسيد بن حضير فحيَّاه وقال: لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها فقال له: «**أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟**» قال: وأى صاحب يا رسول الله ﷺ قال: «**عبد الله بن أبى**» قال: «**وما قال؟**» قال: «**زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**» قال: فأنت يا رسول الله ﷺ تخرجه منها إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال: يا رسول الله ارفق به ؛ فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ؛ ليتوِّجُوه ؛ فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك ؛ حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك ؛ حتى آذنتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيامًا ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ؛ ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبى .

أما ابن أبى فلما علم أن زيد بن أرقم بلغ الخبر جاء إلى رسول الله ﷺ وحلف ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل فصدقه ، قال زيد: فأصابنى همٌّ لم يصبنى مثله قط ، فجلست فى بيتى فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ٱسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ

لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ [المنافقون: ١ - ٨] فأرسل إليَّ رسول الله ﷺ فقرأها عليَّ ثم قال: «**إن الله قد صدقك**».

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول الذى كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه؛ فإن كنت لابد فاعلاً فمرنى به؛ فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أُبي فأقتل رجلاً مؤمنًا بكافر؛ فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا".

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «**كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لى: اقتله لأرعدت[1] له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته**» قال عمر: قد - والله- علمت الأمر؛ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى[2].

## حديثُ الإفْك:

وفي منصرف المسلمين من هذه الغزوة كانت حادثة الإفك، وهذا سياق القصة، قَالَتْ عَائِشَةُ - رضي الله عنها- كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ[3] فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا[4] فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ دَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدْ انْقَطَعَ فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ وَهُمْ

---

(١) لأرعدت له أنف: انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصبية.

(٢) ابن هشام (٢ / ٥٠ - ٥٣)، الرحيق المختوم ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٣) رواه البخاري ٤١٤١.

(٤) غزوة غزاها: تقصد - بذلك - غزوة بني المصطلق.

يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ خِفَّةَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ فَسَارُوا وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلا مُجِيبٌ فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ فَأدلج(١) مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ وَلا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ(٢) وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوغِرِينَ(٣) فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ قَالَتْ فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ .

**انْتِشَارُ الدِّعَايَةِ بِالمدِينَةِ :**

فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الافْكِ وَلَمْ أَشْعُرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي(٤) إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: **«كَيْفَ تِيكُمْ؟ فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقِهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا وَلا نَخْرُجُ إِلا لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُتَّخَذَ الْكُنُفُ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا وَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا بِئْسَمَا قُلْتِ تَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْرًا قَالَتْ أَيْ: هَنْتَاهُ(٥) أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ قُلْتُ وَمَاذَا قَالَ فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الافْكِ**

---

(١) فأدلج: سار آخر الليل .

(٢) استرجاعه: قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) موغرين: الوغرة شدة الحر .

(٤) رواه أحمد ٢٥٠٩٥ .

(٥) هنتاه: يا بلهاء ، كأنها نسبت إليَّ قلة المعرفة بمكائد الناس وشرورهم .

فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ كَيْفَ تِيكُمْ قُلْتُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ قَالَتْ وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ فَقَالَتْ: أَيْ بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ[1] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي».

## اسْتِشَارَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ رضى الله عنهم عِنْدَ تَأَخُّرِ نُزُولِ الوَحْيِ:

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ لِيَسْتَشِيرَهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلا نَعْلَمُ إِلا خَيْرًا وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَإِنْ تَسْأَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ قَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَعْذَرَ[2] مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فَقَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً[3] مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلا خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلا مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ لَقَدْ أَعْذِرُكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ».

## آثَارُ فِتْنَةِ الإِفْكِ:

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ وَكَانَ رَجُلا صَالِحًا وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: لَعَمْرُ اللَّهِ لا تَقْتُلُهُ وَلا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ

---

(١) وضيئة: الوضاءة: الحسن والبهجة.

(٢) استعذر: قال: من يقوم بعذري إن كفأنه على سوء صنيعه.

(٣) الرجل: هو صفوان بن المعطل السلمي.

تُجادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ قَالَتْ وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَاكَ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي قَالَتْ فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ.

**مُفَاتَحَةُ الرَّسُولِ ﷺ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها وجوابها له:**

قَالَتْ فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ ثُمَّ تُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ**» قَالَتْ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لأَبِي أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ فَقَالَ مَا أَدْرِي وَاللَّهِ مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ تُصَدِّقُونِي وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

قَالَتْ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي قَالَتْ وَأَنَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا.

**نُزُولُ الوحي ببراءة عائشة رضي الله عنها:**

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَجْلِسِهِ وَلا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ وَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ قَالَتْ

فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلا أَحْمَدُ إِلا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١١ - ٢٠] العَشْر الآيات كلها .

## مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مِمَّنْ تَكَلَّمَ فِي عَائِشَةَ رضى الله عنها :

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الآيَاتِ بَرَاءَتِي قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ وَاللَّهِ لا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢] فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ لا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي وَمَا عَلِمْتِ أَوْ مَا رَأَيْتِ أَوْ مَا بَلَغَكِ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَأَنَا مَا عَلِمْتُ إِلا خَيْرًا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَصَمَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْوَرَعِ وَطَفِقَتْ[1] أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الإِفْكِ[2] .

---

(١) طفقت: شرعت .

(٢) تفسير ابن كثير (٢ / ٥٨٧ - ٥٨٩) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٤٢ - ٢٤٨)، سيرة الرسول أبو عمار (٣٧٠ - ٣٧٦) .

**الدُّرُوسُ المسْتَفَادَةُ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي المصْطَلَق وَحَدِيثِ الإفْكِ:**

تنطوى غزوة بنى المصطلق على العديد والعديد من الدروس والعبر والعظات منها:-

١- الحفاظ على السمعة السياسية ووحدة الصف الداخلية:

وهذا الدرس يظهر فى قوله ﷺ: «**فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**» .

إنها المحافظة التامة على السمعة السياسية ، والفرق كبير بين أن يتحدث الناس عن حب أصحاب محمدٍ محمدًا ويؤكدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان: ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا وبين أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه ، ولم يقف النبى ﷺ موقفًا سلبيًا حيال تلك المؤامرة التى تزعمها ابن سلول ؛ لتصديع الصف المسلم وإحياء نعرات الجاهلية فى وسطه بل اتخذ إزاءها الخطوات الإيجابية التالية:

ا- سار الرسول ﷺ بالناس يومهم ذلك ؛ حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم الثانى حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نيامًا .

وبهذا التصرف البالغ الغاية فى السياسة الرشيدة قضى على الفتنة قضاءً مبرمًا ، ولم يدع مجالاً للحديث فيما قال ابن أُبىٍّ .

أ- لم يواجه النبى ﷺ ابن سلول ومؤامراته المدبرة بالقوة واستعمال السلاح ؛ حرصًا على وحدة الصف المسلم ، وذلك لأن لابن أبى أتباعًا وشيعة مسلمين مغرورين ، ولو فتك به لأرعدت له أنوف ، وغضب له رجال متحمسون له ، وقد يدفعهم تحمسهم له إلى تقطيع الوحدة المسلمة ، وليس فى ذلك أى مصلحة للمسلمين ولا للإسلام ، وإنها لسياسة شرعية حكيمة فى معالجة المواقف العصبية فى حزم وقوة أعصاب وبعد نظر ، وهذه البراعة فى الحكمة والسياسة وتدبير الأمور متفرعة عن كونه ﷺ نبيًا ورسولاً إلى الناس ؛ لكى تقتدى به الأمة فى تصرفاته العظيمة .

٢- مثل أعلى فى الإيمان:

حسده عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول فى موقفه من والده وتقديمه وإخلاصه لله ولرسوله ، وتقديم محبتهما ومراضيهما على محبة ومراضى الأبوة ، لقد ضرب الابن أروع مثل فى الإيمان والتضحية بعاطفة الأبوة ؛ عندما أتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله بلغنى إنك تريد قتل أبى بن سلول فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر قاتل أبى يمشى بين الناس فأقتله ، فأقتل رجلاً مؤمنًا بكافر فأدخل النار فقابله ﷺ صاحب القلب الكبير والخلق العظيم بمثل رفيع فى العفو والرحمة وحسن الصحبة بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا ، يا لروعة العفو ويا لجلال العظمة النبوية ، فقد تلطف النبى ﷺ بهذا الصحابى وهدأ من روعه وأذهب هواجسه .

٣- محاربة العصبية الجاهلية:

إن العصبية الممقوتة والتى نصفها بالجاهلية غير مقصورة على العصبية القبلية ، أي: الاشتراك فى النسب الواحد نسب القبيلة التى ينتمون إليها ، وإنما الاشتراك فى معنى أو وصف معين يجعل المشتركين فيه يتعاونون ويتناصرون فيما بينهم بالحق والباطل ، ويكون ولاؤهم فيما بينهم على أساس هذا المعنى أو الوصف المشترك ، فعندما كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ فَسَمَّعَهَا اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ قَالَ[1]: «مَا هَذَا؟» فَقَالُوا: كَسَعَ رَجُلٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: الأَنْصَارِيُّ يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ».

ووجه الدلالة بهذا الخبر أن النبى ﷺ أنكر هذه المناداة لما تشعره من معنى العصبية ، مع أن المنادى استعمل اسمًا استعمله القرآن وهو (المهاجرين) و (الأنصار) ، فالمهاجرى استنصر بالمهاجرين مع أنه هو الذى كسع ، فكأنه بندائه هذا يريد عونهم ؛ لأنه منهم ، وكذلك الأنصارى استنصر بالأنصار لأنه منهم ، وكان حق الاثنين إذا كات لابد من

(١) رواه البخاري ٤٩٠٧ .

الاستنصار بالغير أن يكون الاستنصار بالمسلمين ، وعلى هذا فالمطلوب من الدعاة التأكيد على نبذ العصبية بجميع أنواعها ؛ سواء كانت عصبية تقوم على أساس الاشتراك بالقبيلة الواحدة أو على أساس آخر من بلد أو مذهب أو حزب . . . إلخ ، وأن يكون الولاء والتناصر على أساس الاشتراك بالأخوة الإسلامية التى أقامها وأثبتها واعتبرها الله - تعالى - بين المسلمين بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: ١٠] .

وأن يكون التناصر فيما بينهم تناصرًا على الحق لا على الباطل بمعنى أن ينصروا المحق وأن يكونوا معه لا مع المعتدى .

لقد أوضح رسول الله ﷺ أن العصبيات هي من دعاوى الجاهلية وقَالَ[1]:«**لْيَنْصُرْ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ**».

فجعل التناصر في طلب الحق والإنصاف وأبطل المفهوم الجاهلى: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا [2] .

**كما تنطوى قصة الإفك على آداب ودروس منها:**

**١- بشرية الرسول ﷺ :**

جاءت محنة الإفك منطوية على حكمة إلهية استهدفت إبراز شخصية النبى ﷺ وإظهارها صافية مميزة عن كل ما قد يلتبس بها .

فقد فاجأت هذه الشائعة سمع النبى ﷺ وهو فى طور من إنسانيته العادية ، يتصرف ويتأمل ويفكر كأى أحد من الناس ضمن حدود العصمة المعروفة للأنبياء والمرسلين ، فاستقبلها كما يستقبل مثلها أى بشر عادى من الناس ليس له اطلاع على غيب مكنون ولا ضمير مجهول ولا على قصد ملفق كاذب ، فاضطرب كما يضطربون وشك كما يشكون ، وأخذ يقلب الرأى على وجوهه ، ويستنجد فى ذلك بمشورة أولى الرأى من الصحابة .

وكان من مقتضى الحكمة الإلهية فى إبراز هذا الجانب الإنسانى المجرد فيه ﷺ أن

---

(١) رواه مسلم ٢٥٨٤ .

(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٣٧ - ٢٤٠) .

يتأخر الوحى كل هذه الفترة التى تأخرها ؛ كى تتجلى للناس حقيقتان ؛ كل منهما على غاية من الأهمية ؛ أما الحقيقة الأولى فهى أن النبى ﷺ لم يخرج بنبوته ورسالته عن كونه بشرًا من الناس فلا ينبغى لمن آمن به أن يتصور أن النبوة قد تجاوزت به حدود البشرية فينسب إليه من الأمور أو التأثير فى الأشياء ما لا يجوز نسبته إلا لله وحده .

وأما الحقيقة الثانية فهى أن الوحى الإلهى ليس شعورًا نفسيًا ينبثق من كيان النبى ﷺ كما أنه ليس شيئًا خاضعًا لإرادته أو تطلعه وأمنياته إذ لو كان بذلك لكان من السهل عليه أن ينهى هذه المشكلة من يوم ميلادها ويريح نفسه من ذيولها ونتائجها ، ويجعل مما يعتقد من الخير والاستقامة فى أهله قرآنًا ، يطمئن به أصحابه المؤمنين ويسكت الآخرين من أصحاب الفضول ؛ ولكنه لم يفعل لأنه لا يملك ذلك .

ولقد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها أول من تجلت لها هاتان الحقيقتان ؛ حتى ذهبت فى توحيدها وعبوديتها لله وحده مذهبًا أنساها ما سواه ومن سواه ؛ فلذلك أجابت أمها حينما طلبت إليها أن تقوم فتشكر النبى ﷺ قائلة: لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذى أنزل براءتى .

إن هذا الكلام من السيدة عائشة قد يبدو وكأنه فيه شيئًا من عدم اللباقة تجاه النبى ﷺ غير أن الظرف والحالة هما اللذان أمليا عليها هذا الكلام ؛ فهى إنما انساقت بوحى الحالة التى كونتها الحكمة الإلهية ؛ تثبيتًا لعقيدة المؤمنين وقطعًا لإفك المنافقين والملحدين وإظهارًا لمعنى التوحيد والعبودية الشاملة لله وحده .

٢ – حد القذف وأهميته فى المحافظة على أعراض المسلمين:

إن الإسلام حرم الزنا ، وأوجب العقوبة على فاعله كما حرم أيضًا كل الأسباب المسببة له وكل الطرق الموصلة إليه ؛ ومنها إشاعة الفاحشة والقذف بها لتنزيه المجتمع من أن تسرى فيه ألفاظ الفاحشة والحديث عنها ؛ لأن كثرة الحديث عن فاحشة الزنا وسهولة قولها فى كل وقت يهون أمرها لدى سامعيها ويجرئ ضعفاء النفوس على ارتكابها ، لهذا حرمت الشريعة الإسلامية القذف بالزنا وأوجبت على من قذف عفيفًا أو عفيفة طاهرًا أو طاهرة بريئًا أو بريئة من الزنا حد القذف وهو الجلد ثمانون جلدة وعدم قبول شهادته

إلا بعد توبته توبة صادقة نصوحًا [١] .

وفى قصة الإفك رأينا أن النبى ﷺ أمر بأولئك الذين تفوهوا بصريح القذف فضربوا حد القذف ثمانون جلدة وليس في هذا من إشكال ، إنما الإشكال في أن ينجو من الحد الذي تولى كبر هذه الشائعة وهو عبد الله بن أبي ابن سلول[٢] .

وقد ذكر ابن القيم وجه الحكمة في عدم حد عبد الله بن أبي فقال:

١- قيل: لأن الحدود تخفيف عن أهلها وكفارة ، والخبيث ليس أهلاً لذلك وقد توعده الله العذاب العظيم في الآخرة ويكفيه عن الحد .

٢- وقيل: كان يستوشي الحديث ويجمعه ويحكيه ويخرجه في قوالب من لا ينسب إليه .

٣- وقيل: الحد لا يثبت إلا ببينة أو إقرار ، وهو لم يقر بالقذف ولا شهد به عليه أحد ؛ فإنه كان ينكره بين أصحابه ولم يشهدوا عليه ولم يكن يذكره بين المؤمنين .

٤- وقيل: بل ترك حده لمصلحة هي أعظم من إقامته عليه ، كما ترك قتله مع ظهور نفاقه وتكلمه بما يوجب قتله مرارًا ، وهي تأليف قومه وعدم تنفيرهم من الإسلام ، ثم قال - في ختام كلامه- ولعله ترك لهذه الوجوه كلها [٣] .

* * *

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٥٢) .

(٢) فقه السيرة للبوطي ٢٢٤ .

(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٥٣) .